رحلة

فى مستهل عام ١٩٥١ ، تلاقى جمع من أساتذة جامعة القاهرة وطلابها : يتحادثون فى أمر عطلة نصف العام التى كانت تدنو إذ ذاك ، فاختار فريق أن يذهب إلى السودان لنتعرف إلى إخواننا أبناء الجنوب . وآثر آخرون أن يحجوا إلى الحجاز معتمرين زائرين . وهى رحلة كانت جديرة بأن تستهوى كل المسلمين منا ، وتجذب إليها دارسى العربية وأدبها ، والإسلام وتاريخه ، لكن قيمة الاشتراك فى الرحلة حددت بمبلغ خمسة وأربعين جنيهاً ، فحال هذا الرقم دون أكثر الراغبين : ولم يبق منهم سوى عشرة : اثنان من أسرة كلية الآداب ، وخمسة من الطب ، واثنان من كلية التجارة ، وواحد من كلية الزراعة .

وضع برنامج الرحلة مقتصراً فى بادئ الأمر على الذهاب بالطائرة إلى «جدة» ، ومنها بالسيارة إلى «مكة» لقضاء سنة العُمْرة ومشاهدة أرض المبعث ومهد الإسلام ، ثم الرحيل بالطائرة

إلى «المدينة المنورة» لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والطواف بالمشاهد التاريخية الباقية في دار الهجرة .

* * *

غير أن لفتة كريمة من حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل آل سعود — الذي كان يزور مصر آنذاك — أفسحت الأفق المحدود أمام أعضاء البعثة ، ووعدتهم بجولة واسعة المدى ، يبلغون فيها نجدا والدهناء ، ويصلون إلى شرق الجزيرة حتى الأحساء ومنطقة البحرين [1] .

تشرف ثلاثة من أعضاء البعثة — السادة الأساتذة : أمين الخولي ، والدكتور عبد السلام العبادي ، والدكتور محمود المنجوري — بمقابلة سمو الأمير الجليل في جناحه الخاص بفندق سميراميس ، قبل موعد السفر بأيام ثلاثة . فتفضل سموه وشمل البعثة برعايته السامية ، وأوفد السيد الأستاذ فؤاد شاكر لتوديعنا بمطار القاهرة ، صباح الأحد ، الرابع من فبراير ١٩٥١ .

وأقلتنا طائرة سعودية من طراز داكوتا ، إلى الأرض المباركة ،

---

(١) لمعرفة هذه الأماكن وغيرها من أعلام البلدان في الكتاب راجع المصور الجغرافي ، في الصفحة الأخيرة .

عبر الصحراء الشرقية وقناة السويس وشبه جزيرة سينا . فلما بلغنا مطار «المدينة المنورة» أذن لنا فى استراحة قصيرة ريثما ارتدى الأعضاء لباس الإحرام . وتوجهنا من بعد ذلك إلى «جدة» فما كدنا ننزل من الطائرة حتى رأينا حشداً كريماً فى استقبالنا ، فيه مندوب حضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل ، والسيد الأستاذ حسن شعيب القائم بأعمال المفوضية المصرية بجدة . ومندوب عن وزارة الخارجية ، وآخر عن المعارف ، وثالث عن محطة الإذاعة اللاسلكية ، وعدد من مندوبى الصحف .

وكانت مفاجأة سارة لنا ، أن أُبلغنا ساعة وصولنا : أننا ضيوف حضرة صاحب الجلالة عاهل الجزيرة ، ما أقمنا بها .

وفى الفندق تناولنا غداءنا واسترحنا قليلا ، ثم استقبلنا وفود المرحبين من أهل جدة الكرام .

ولما حان الأصيل ، سعينا إلى «مكة المكرمة» محرمين هاتفين ملبين ، حيث صلينا العشاء فى المسجد الحرام وأتممنا الطواف والمسعى . ثم أوينا بعد العمرة إلى دار الضيافة ، حيث تتابعت وفود العلماء والشعراء لتحيتنا والترحيب بنا .

وزرنا فى الصباح معالم المدينة ، ثم رجعنا إلى جدة فتناولنا

غذاءنا فى القصر الملكى بدعوة من « سمو الأمير عبدالله الفيصل » .

وتفضل سموه الملكى فتحدث إلينا طويلا عن مصر العزيزة ، وعن العرب والإسلام ، حديث أمير عربى ، واسع الأفق بعيد الآمال . ثم التفت سموه إلىّ ، يسألنى عن الاتجاهات الأدبية الحديثة ، وعن الحركة النسوية فى مصر اليوم .

وقال سموه مودعاً : « أنتم فى داركم وبين أهليكم ، لن نقيدكم ببرنامج للرحلة أو نتحكم فى خط سيركم . لكم أن تعربوا عن رغباتكم ، وعلينا التنفيذ . . . » .

وبهذا النطق الكريم ، أزيلت الحدود التى كانت تقيد مسيرنا ، فلا تأذن لنا بتجاوز منقطة « جدة — مكة — المدينة » ، ورنونا إلى بعيد . . .

وفى دار « السيد الشيخ محمد سرور الصبان » رسمنا برنامج رحلتنا فى حرية واغتباط : نمضى إلى « الظهران » ، ومنها إلى « القطيف فالبحرين » ، ثم نعرج على « الرياض » فى طريقنا إلى « المدينة المنورة » .

* * *

وكانت رحلتنـــا إلى « الظهران » حافلة مثيرة ، حيث أمضينا هناك سبعة أيام ، نجول فى المنطقة ، ونسمع قصة

الزيت ، يرافقنا فى جولتنا السيدان « الشيخ عبد الرحمن الشيبانى ، سكرتير سمو أمير الظهران ، وعبد الله القريشى مدير الشرطة » .

وتصادف أن كان قائد قوات الشرق الأوسط يزور ميناء « راس تنُّورَة » فى جولة له بالخليج الفارسى ، فدعانا مع الأمير تركى — أمير راس تنورة — لتناول الشاى على البارجة الأمريكية « دوكسبرى باى »

وأمضينا يوماً بأكمله فى جولة بحرية بالخليج العربى على ظهر زورق بخارى أعدته لنا إمارة « الدمّام » وزودته بالطعام وكل وسائل الراحة .

وقبيل رحيلنا عن « الظهران » ، أقام لنا « السيد الشيخ عبدالله السليمان : وزير المالية » وليمة غداء فى بستانه الشهير بالدمام ، ثم تناولنا العشاء فى دار الإمارة مع حضرة « صاحب السمو الأمير « عبد المحسن بن جلَوى » وشهدنا فى المساء حفلة سمر بدار السيد مدير مطار الظهران .

وتفضلت سمو الأميرة الكريمة حرم حضرة صاحب السمو الأمير عبد المحسن ، فاستقبلتنى فى دارها ، وقدمت إلىّ هدية غالية « تذكاراً لهذه الزيارة الأولى . ورمزاً لما بين مصر

والجزيرة من ود متبادل ، وارتباط وثيق » .

* * *

وقد وصلنا فى طوافنا إلى «القطيف» على ساحل الخليج الفارسى فرحب بنا علماؤها وأعيانهـا ، واحتفلوا احتفالا مؤثراً بأول بعثة مصرية تصل إلى تلك المدينة التاريخية النائية .

* * *

وتوجهنا بعد ذلك إلى « الرياض » ، حيث تشرف الأعضاء بمقابلة حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ، وقد تلقاهم جلالته مرحباً « بأبناء مصر العزيزة والوادى الطيب » وتحدث إليهم عن قضايا الإسلام والعرب حديثاً مثيراً ومؤثراً .

وخصنى جلالته بعطف سابغ فأصدر أمره الكريم بأن ألقب « بأميرة الصحراء » .

وتناولنا طعام الغداء فى قصر الضيافة مع رجال القصر الملكى .

* * *

ونقلتنا الطائرة إلى جدة فالمدينة ، حيث لبثنا هناك ثلاثة أيام ، نطوف بالمشاهد المجيدة ، ونقف بالآثار الباقية من تاريخ أبطال الإسلام الأولين .

ثم عدنا من بعد ذلك إلى مصر . . .

* * *

عدنا نحمل أطيب ذكرى لأكرم ضيافة وأطيب رحلة . .

ومضت الأيام ومشاهد الجزيرة العربية تتراءى لى من بعيد، فأسترجع الذكريات المثيرة لرحلتى إلى موطن العربية ومهد الإسلام .

وتناولت قلمى لأتحدث إلى قومى عن « أرض المعجزات»، هذه التى قُدر لها منذ نحو أربعة عشر قرناً ، أن تغير بالإسلام تاريخ العالم، وتقرر مصاير دول وشعوب ، وعروش وتيجان . وحضارات وديانات .

واليوم يكتب لها أن تدفع سيل الزيت دافقاً كالدم الحار فى شرايين الدنيا ، فتشارك فى تقرير المصير لعالم اليوم . . .

بنت الشاطئ

هليوبوليس : أول مايو ١٩٥١